شيء مِن تعظيم سُنَّة النبي محمد ﷺ عند السَّلف الصَّالحين

الخطبة الأولى: ــــــــــــــــــــــــ

الحمدُ للهِ الذي بنعمَتِهِ تَتِمُّ الصالحاتُ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ عليهِ، ورَضِيَ عن آلِهِ وأصحابِه.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ:

فإنَّ طاعةَ الرسولِ ﷺ طاعةٌ للهِ، وبذلكَ أمَرَ ربُّنا وأخبَرَ، فقالَ ـ جلَّ وعلا ـ: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }، وقالَ سُبحانَهُ: { مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ }، وبشَّرَ اللهُ المُطيعينَ لَهُ ولِرسولِهِ ﷺ فقالَ ـ عزَّ وجلَّ ـ: { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا }، وثبتَ أنَّ عائشةَ ـ رضيَ اللهُ عنها ـ قالتْ: ((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: وَاللهِ إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لَأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيَكَ فَأَنْظُرُ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَإِنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لَا أَرَاكَ، فَلَمْ يُرِدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: { وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا }))، وتوعَّدَ اللهُ العاصينَ لَهُ ولِرسولِهِ ﷺ في الآخرةِ بعذابِ النَّارِ، فقالَ تعالى: { وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ }، وأخبَرَ عن حسرَتِهِم في الآخرةِ، فقالَ سُبحانَهُ: { يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا }، وهدَّدَهمُ بالعقوبةِ في الدُّنيا، فقالَ ـ عزَّ مِن قائلٍ ـ: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }، وأبانَ اللهُ أنَّ عاقبةَ معصيتِهِ ومعصيةِ رسولِهِ ﷺ هيَ الضَّلالُ، فقالَ ـ عزَّ وجلَّ ـ: { وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا }، وصحَّ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: ((«كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»))، وبيَّنَ اللهُ حالَ المؤمنينَ مع حُكمِ وأمْرِ اللهِ ورسولِهِ ﷺ، فقالَ ـ تبارَكَ وتقدَّسَ ـ: { إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }، وقالَ تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ }.

أيُّها الناسُ:

إنَّ السُّنَّةَ النَّبويةَ، سُنَّةَ النبيِّ محمدٍ ﷺ، **هيَ:** «أحاديثُهُ الصَّحيحَةُ»، **وهيَ:** «ما ثَبَتَ عنهُ ﷺ مِن أقوالٍ وأفعالٍ وتقريراتٍ»، ومَن نظرَ إلى حالِ سَلَفِنا

الصالحِ مِن الصحابةِ والتابعينَ فمَن بعدَهُم مع هذهِ السُّنةِ، مع أحاديثِ النبيِّ ﷺ الثابتَةِ فسَيَرَى حالًا جليلًا، واقتداءً شديدًا، واتِّباعًا عظيمًا، وتَمسُّكًا قويًّا، واهتداءً كبيرًا، واهتمامًا مُتزايدًا، وعملًا كثيرًا.

فأمَّا بعضُ حالُهُم عندَ سماعِ حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ: فقد ثبتَ عن ابنِ عباسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ أنَّهُ قالَ: ((كُنَّا إِذَا سَمِعْنَا رَجُلًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْتَدَرَتْهُ أَبْصَارُنَا وَأَصْغَيْنَا إِلَيْهِ بِآذَانِنَا)).

وأمَّا بعضُ حالُهُم عندَ التحديثِ عن رسولِ اللهِ ﷺ: فقد ثبتَ عن الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ـ رحمهُ اللهُ ـ: «أنَّهُ كانَ إذا أرادَ أنْ يَخرجَ لِيُحدِّثَ عن رسولِ اللهِ ﷺ توضَّأَ وضوءَهُ للصلاةِ، ولبِسَ أحسنَ ثيابِهِ، ولبِسَ قُلُنْسُوَةً، ومَشَطَ لِحيَتَهُ، فقيلَ لهُ في ذلكَ، فقالَ: أُوَقِّرُ حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ»، **وثبتَ عنِ ابنِ أبي الزِّنَادِ ـ رحمهُ اللهُ ـ أنَّهُ:** «ذَكرَ لِسعيدِ بنِ الْمُسَيِّبِ حدِيثًا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وهوَ مريضٌ فقالَ: أجْلِسُونِي فإنِّي أكْرَهُ أنْ أُحَدِّثَ حديثَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأنا مُضطجِعٌ»، **وكانَ الإمامُ ابن تيميَّةَ ـ رحمهُ اللهُ ـ:** «إذا دَرَّسَ طُلابَهُ جلسَ على كُرسِيٍّ قد أُعِدَّ لَهُ، فإذا جاءَ وقتُ قراءةِ حديثِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِن "صحيحِ البُخاريِّ" نزَلَ وجلسَ على الأرضِ وطلبَ مِن القارئِ أنْ يَقرأَ وهو جالسٌ على الكُرسِيِّ إجلالًا لِحديثِ النبيِّ ﷺ وتعظيمًا».

وأمَّا بعضُ حالُهُم معَ مُتابعةِ رسولِ اللهِ ﷺ فيما فعلَ أو ترَكَ:

فقد صحَّ: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصْطَنَعَ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ وَكَانَ يَلْبَسُهُ، فَصَنَعَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ، ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَنَزَعَهُ فَرَمَى بِهِ ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهِ لاَ أَلْبَسُهُ أَبَدًا» فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ))، وصحَّ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ أنَّهُ قالَ: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ صَلاَتِهِ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ خَلَعُوا نِعَالَهُمْ، فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ قَالَ: «مَا بَالُكُمْ أَلْقَيْتُمْ نِعَالَكُمْ؟»، قَالُوا: رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا، فَقَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَرًا أَوْ قَالَ: أَذًى فَأَلْقَيْتُهُمَا، فَإِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ فِي نَعْلَيْهِ فَإِنْ رَأَى فِيهِمَا قَذَرًا أَوْ أَذًى فَلْيَمْسَحْهُمَا وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا»))، وصحَّ: ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَ رَجُلًا مِنْ ثَقِيفٍ حَتَّى هَرْوَلَ فِي أَثَرِهِ حَتَّى أَخَذَ ثَوْبَهُ، فَقَالَ: «ارْفَعْ إِزَارَكَ»، قَالَ: فَكَشَفَ الرَّجُلُ عَنْ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَحْنَفُ وَتَصْطَكُّ رُكْبَتَايَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ خَلْقِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ حَسَنٌ» وَلَمْ يُرَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَّا وَإِزَارُهُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ حَتَّى مَاتَ))، وصحَّ: ((أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا

فِي يَدِهِ»، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا وَاللهِ، لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ)).

وقالَ الإمامُ سفيانَ الثوريُّ ـ رحمهُ اللهُ ـ: «ما بَلَغَنِي عن النبيِّ ﷺ حديثٌ قطُّ إلا عَمِلْتُ بِهِ ولَو مَرَّةً»، **وثبتَ أنَّ الإمامَ أحمدَ بنَ حنبلٍ ـ رحمهُ اللهُ ـ قالَ:** «ما كتبتُ حديثًا إلا وقد عمِلتُ بِهِ حتَّى مَرَّ بِي أنَّ النبيَّ ﷺ احتَجَمَ وأعطَى أبا طَيبَةَ دِينارًا، فأعطيتُ الحَجَّامَ دِينارًا حينَ احتَجمْتُ»، **وثبتَ أنَّ الإمامَ الشافعيَّ ـ رحمهُ اللهُ ـ:** «حدَّثَ عن النبيِّ ﷺ بِحديثٍ فقالَ لَهُ رَجلٌ: أَتَأْخُذُ بِهِ؟ فَقَالَ: «أرَأَيْتَنِي خرجتُ مِن كنيسَةٍ أترَى عَلَيَّ زُنَّارًا حَتَّى لَا أَقُولَ بِهِ؟ إذا ثبتَ عِندي عن النبيِّ ﷺ حديثٌ قُلْتُ بِهِ، وقَوَّلْتُهُ إيَّاهُ، وَلَمْ أَزُلْ عَنْهُ».

وأمَّا بعضُ حالُهُم مع مَن رأوهُ يُخالِفُ حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ:
فقد صحَّ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ مُغفَّلٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ: ((رَأَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَخْذِفُ فَقَالَ لَهُ: لَا تَخْذِفْ، «فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْهَى عَنِ الْخَذْفِ، فَإِنَّهُ لَا يُصْطَادُ بِهِ الصَّيْدُ، وَلَا يُنْكَأُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَلَكِنَّهُ يَكْسِرُ السِّنَّ، وَيَفْقَأُ الْعَيْنَ»، ثُمَّ رَآهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: «أُخْبِرُكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْهَى عَنِ الْخَذْفِ ثُمَّ أَرَاكَ تَخْذِفُ لَا أُكَلِّمُكَ كَلِمَةً كَذَا وَكَذَا»))، وفي لفظٍ صحيحٍ أنَّهُ قالَ لَهُ: ((أُحَدِّثُكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْهُ ثُمَّ تَخْذِفُ لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا))، وصحَّ: ((أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا»، فَقَالَ ابْنُهُ: "وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ"، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَقَالَ: "أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ وَتَقُولُ: "وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ"))، وفي لفظٍ صحيحٍ أنَّهُ: ((مَا كَلَّمَهُ عَبْدُ اللهِ حَتَّى مَاتَ))، وثبتَ أنَّ الأعرجَ ـ رحمهُ اللهُ ـ قالَ: ((سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ لِرَجُلٍ: أَتَسْمَعُنِي أُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَبِيعُوا الدِّينَارَ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمَ بِالدِّرْهَمِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ، وَلَا تَبِيعُوا مِنْهَا عَاجِلًا بِآجِلٍ»، ثُمَّ أَنْتَ تُفْتِي بِمَا تُفْتِي، وَاللهِ لَا يُؤْوِينِي وَإِيَّاكَ مَا عِشْتُ إِلَّا الْمَسْجِدُ)).
نفعَنِي اللهُ وإيَّاكُم، بما سمِعتُم، وأحيانا باتِّباعِ السُّنَنِ، واجتنابِ البدعِ.

الخطبة الثانية: ــــــــــــــــــــ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على خاتَمِ النَّبيينَ، ورضيَ اللهُ عن الزَّوجاتِ وباقي الآلِ والأصحابِ والأتباعِ لِسيِّدِ ولَدِ آدَمَ أجمعين.

أمَّا بعدُ، أيُّها الناسُ:
فاتقوا اللهَ ـ جلَّ وعلا ـ بالاعتصامِ والاستمساكِ باستمرارٍ وإلى المَماتِ

بسُنَّةِ النبيّ محمدٍ ﷺ، فقد صحَّ عنهُ ﷺ أنَّهُ قالَ: ((فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))، وصحَّ أنَّ الإمامَ الزُّهريَّ تلميذَ الصحابةِ ـ رحمهُ اللهُ ـ قالَ: ((كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: «الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ»)).

واتقوا اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ بالحَذَرِ والابتعادِ عن مُخالفةِ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ، لأنَّ مُخالَفَتَها جالِبةٌ ﷺ للضَّلالِ البعيدِ، والعقوباتِ الدُّنيويَّةِ والأُخْرَويَّةِ، وقد صحَّ: ((أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِه، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، فَقَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ))، فلا يُدْرَى أأصابَها شلَلٌ أمْ تصلَّبتْ فلا يَستطيعُ عطفَها إلى فَمِهِ لِيأكُل، وثبتَ أنَّهُ: ((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ الْمُسَيِّبِ يُوَدِّعُهُ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ فَقَالَ لَهُ: لَا تَبْرَحْ حَتَّى تُصَلِّيَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَخْرُجُ بَعْدَ النِّدَاءِ مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَّا مُنَافِقٌ، إِلَّا رَجُلٌ أَخْرَجَتْهُ حَاجَةٌ وَهُوَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى الْمَسْجِدِ» فَقَالَ: إِنَّ أَصْحَابِي بِالْحَرَّةِ، فَخَرَجَ، فَلَمْ يَزَلْ سَعِيدٌ يَوْلَعُ بِذِكْرِهِ حَتَّى أُخْبِرَ أَنَّهُ وَقَعَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَانْكَسَرَتْ فَخِذُهُ)).

وقالَ اللهُ ـ تبارَكَ اسمُهُ ـ في ترهيبِهِ الشديدِ لِلعبادِه في شأنِهِم معَ النبيِّ ﷺ: { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا }.

هذا وأسألُ اللهَ ـ جلَّ وعزَّ ـ: أنْ يَنفعَنا بِما علَّمَنا، وأنْ يَزيدَنا فقهًا وعملًا بشرعِهِ، اللهمَّ اغفرْ لنَا، ولآبائِنا، وأُمَّهاتِنا، وجميعِ أهلينا، وعُمومِ المسلمينَ، اللهمَّ، وفِّقِ الوُلَاةَ ونُوَّابَهُم وعُمَّالَهُم إلى ما فيهِ خيرُ الإسلامِ وصلاحُ المسلمينَ، اللهمَّ أحْيِنَا وتوفَّنا على التوحيدِ والسُّنةِ، ومُفارَقةِ الشِّركِ والبِدعَةِ والمعصيَةِ، اللهمَّ ارفعِ الضُّرَ عن المُتضرِّرينَ مِن المسلمينَ في كلِ مكانٍ، إنَّكَ سميعٌ مُجِيبٌ، وأقولُ هذا، وأستغفرُ اللهَ لِي ولَكم.